الحب الأكبر ...

قصة بقلم دينا الأمير

« كان يفصل بين بيتينا شارع طويل شبيه بهذا الشارع ولكنه كان دائم الازدحام بالناس وكنت استطيع تمييزه من بين العشرات وعلى بعد مئات الامتار . كان يقول لي انه هو رآني قبلا وأؤكد له اني كنت السابقة ثم اتفقنا ان نوقت لحظة الرؤية لنرى حين اللقاء من منا ميز الثاني اولا .... »

« ليلى سأكمل هذا القسم من المادة ونعود الى الحديث انا اوافقك أن حبك كبير .. كبير »

رأيت في عيني ليلى نظرة عتاب . لقد ابعدت الوله منهما . عدت مبهما الى واقع الامتحان الذي ينتظرنا غدا.

وسرعان ما تحولت النظرة في عينيها الى استسلام وتمددت على فراشها وعادت الى القراءة .

قطعت علي الاصغاء وعاد ليلى الحديث زميلتنا لليان . جاءت باسطوانة وطلبت ان نسمعها اياها على الحاكي .

بقية الزميلات اخبرنها ان كلماتها تصف عواطف الشرقيين اصدق وصف .

ارسلت لي عينا ليلى نظرة انتصار فطويت كتابي وجلست استمع الى اغنية السيد درويش (انا هويت) وليلى تترجم لليان كلمات الاغنية .

سألتني مساعدتها في ترجمة المقطع :

أحبه حتى في الحضام

أحبه حتى في المنام

رأيت عيني لليان الخضراوين تتحولان الى الزرقة الغامقة وتهمس « لم نتخاصم الا حين كان يريد الواحد منا ان يبرهن ان حبه هو الاكبر ويبحث عن شتى البراهين ثم نصمت ، وكان صمتنا ابلغ تعبير » .

تركت ليلى تترجم ولليان تتذكر وعدت الى كتابي احاول اكمال الصفحات المتبقية من الفصل .

رفعت رأسي أحاول تذكر النقاط الرئيسية مما قرأت وقرب النافذة كانت صديقتاي تشيران الى الشارع وليلى تقول « الغد يوم عطلة ولدينا متسع للدرس . حسنا فعلوا ان عينوا موعد امتحان هذه المادة الصعبة الى ما بعد يوم العطلة ... »

ارخت لليان ذراعيها متمتمة « كان ذاك الشارع الطويل يؤدي في احدى منعطفاته الى قرية صغيرة ، كنا نذهب اليها يوم العطل سيرا على الاقدام . كنت اتعب واخاف من البوح لئلا يعرض علي ان استبدل حذائي ذا الكعب العالي باخر واطىء فابدو قصيرة قربه . كان هو طويلا . ارفع رأسي عاليا لاراه . كم كنت افخر بالسير بجواره . استطيع تحدي الدنيا وهو معي » .

قاطعتها ليلى « كم سرنا في شارعنا وكم سرقنا اللوز الاخضر . كنا نحن الاثنين نحبه فجا وننتظر حلول المساء ، وكطفلين صغيرين نتعلق بالاغصان ، قافزين اليها ، ومن يحصل على لوزة يطعم الاخر نصفها » .

وتكمل لليان « كان في النصف الثاني دائما حلاوة اكثر » .

اخذت كتابي الى قاعة المطالعة وكانت كبيرة واسعة تملأها الطاولات الداكنات اللون والكراسي الخشبية الصلبة . شغلت بالقراءة ، وفجأة احسست بوحشة شديدة وخيل لي اني على وشك البكاء فسارعت الى غرفتي . سمعت لليان تقول « احس كأن الناس كلهم يدرون اني وحيدة ويعطفون علي ويعن لي احيانا ان اذكر لهم كيف كنت قوية معتزة بجواره . انا اخاف الوحدة .. اخافها ... »

اقترحت عليهما شرب قدح شاي فقالت ليلى انها تفضل القهوة . لقد علمها هو معنى تذوق القهوة . انه يحبها قليلة السكر وهي لا تدري كيف كانت تعيش قبل ان يعودها على قهوة الساعة العاشرة صباحا . كانت اول دعوة تلقتها منه يوم لاقاها في ممر الجامعة ودعاها الى فنجان قهوة وعجبت لدعوته ... ثم صارت تنتظرها وباهت بها على زميلاتها ... »

سكتت ليلى فلم نعلق على حديثها فواصلت « ثم .. ثم حدثني عن حبه واعترف لي بأنه احب فتيات قبلي ولكني انا كنت حبه الاكبر » .

سألت : ثم ؟؟

أجابتني لليان « كانت اول رسالة كتبتها له يوم سفري وقررت رميها في صندوق البريد وانا في طريقي الى المطار ولكني خجلت من ان اطلب من ابوي ايقاف السيارة ففكرت في وضعها في بريد المطار .. وهناك فوجئت به . جاء يودعني مع جماعة من اصدقائه ، عرفت لحظتها كم سيكون الفراق اليما وبدأ حبي له يكبر .

جلست مع اسرتي في قاعة الانتظار وكان هو يجاورنا في حلقة مع اصدقائه . كنت اريد تسليمه الرسالة ولكن اقربائي واصلوا حديثهم وتوصياتهم لي ، ولم اجد ثغرة اتركهم فيها . لم افهم حرفا مما قالوا . كنت اخشى ان اسمع من ينادينا الى ركوب الطائرة . ولكني سمعت الاغنية ... الاسطوانة التي وضعها . كانت

اغنية جديدة شائعة نستسخفها كلانا ولا ادري من كان يحدثني وعم كان الحديث . الذي ادريه اني نهضت وقمت من مكاني بكل شجاعة وانتقلت الى حلقته هو ورفاقه وحين بدأت مصافحتهم سمعت النداء الى ركوب الطائرة. فاسرعت اصافح الايدي الممتدة لتوديعي ، وطوال الطريق في الطائرة كنت خائفة ان تكون الكف التي وضعت فيها الرسالة غير كفه ، وقررت أن اجعل من اول اغنية اسمعها بعد وصولي نذيرا او بشيرا .

لم افهم معنى الاغنية العربية فطلبت من المضيفة ان تكتب لي اسم الاسطوانة واشتريتها ولا ازال احتفظ بها » وبصعوبة فهمنا مما رددته لليان من الفاظ عربية كلمات اغنية « في البحر لم فتكم في البر فتوني » .

تمنيت لو تكون لليان غير فاهمة لكلمات الاغنية ولكنها قالت « هناك اغنية هندية سمعتها عند (لالا) تشابه معانيها معاني اغنيتكم العربية ... وعرفت ان حبي انا لا حبه هو سيكون الاكبر انه لما يسعد ان يكتشف المحب ان عاطفته عميقة لم يعرفها غيره من المحبين ... سأنادي لالا لتأتي بالاسطوانة تسمعها وتترجمها لنا » .

رأتني ليلى انظر الى ساعتي واقيس سجل الصفحات الكثيرة المتبقية من مادة الدرس فارتسمت على عينيها بسمة خفيفة شامتة .

انسحبت بكتابي الى غرفة مديرة القسم الداخلي وكانت سيدة متقدمة في السن . اعتادت مني هذه الزيارات . يرجعني جو غرفتها الى البيت ودفئه .

جلست في ركن عطوف واستغرقت في القراءة . لا ادري كم مرة من الوقت قبل ان يضاء النور وارى المديرة تتقدم مني تطمئن علي . تطلعت اليها ارى في عينيها كل الحنان والود الذي احتاج . كانت سلسلة تتدلى من عنقها معلق بها صورة رجل شاب . سارعت تدخل الصورة تحت ثيابها بحركة مرتبكة . استأذنت بالخروج وانا اتساءل في نفسي « اهذا هو حب المديرة الاكبر » ؟؟

في طريقي الى قاعة الطعام رأيت زميلة تمسك بسماعة الهاتف تحدثها بوله . الخوف يقفز من العينين والشوق يهرب من يديها .

وعلى مائدة العشاء قالت جارتي انها تحب هذا الصنف من الطعام كثيرا « تذكرت حب ليلى للقهوة » فاجبت مسرعة وانا احبه ايضا واجبرت نفسي على اتمام صحن اكلة امجها كي لا اسمع حديث حب اكبر جديد .

كنا كلنا مرهقات فترة الامتحان النهائي وفي ليلة الامتحان الشامل بالذات غالبت النوم بالجلوس على كرسي منتصب وتكويم الكتب حولي اراجعها للمرة الاخيرة .

افقت على صوت ليلي وهي تهزني . كانت الغرفة مظلمة ولا ادري في اية ساعة متأخرة من الليل كنا . وبين رغبتي في معاودة النوم والحاحها علي بالكلام فهمت انها تريد ان تستشيرني في امر هام . طلبت منها تأجيله الى الصباح فتوسلت الي ان اصغي اليها « ايمكن ان يكون حب الاخريات والاخرين مثل حبها هي ؟ الا تنفرد هي بما تحس من مشاعر ؟ الا تعني الاشياء الصغيرة لها هي وحدها معاني كبيرة ؟ ايمكن ان يكون حبها .. حبها الكبير ملكا مشاعا لكل المحبين ؟ اليس حبها هي هو الحب الاكبر ؟؟ »

قمت الى فراشي . ارحت رأسي على الوسادة وسحبت الغطاء علي وادرت وجهي صوب الحائط . لم ارد ان احدث ليلى عن يوم انتهى فيه الصراع مع نفسي ومع الاخرين ، يوم ماتت الاشياء عندي حين اكتشفت اكذوبة الحب الاكبر .

استيقظنا صباحا على ضجة كبيرة وهرعت الطالبات ينشرن خبر محاولة لالا زميلتنا الهندية الانتحار ونقلها الى المستشفى .

وبين استفسار الهلعات وقلقهن وجدتني اتساءل « هل حاولت لالا الانتحار نتيجة ارهاقها استعدادا للامتحان ام تراني اخطأت في اكتشافي لاكذوبة الحب الاكبر ؟؟ »

ديزي الامير